المحاظرة الخامس
مختصر عن فريد الدين العطار
فقد كان كتاباً أثيراً عند الصوفية، يتدارسونه في التكايا، وينسخون منه نسخاً لأنفسهم، فيزيد فيه وينقص منه، الشعراء من المتصوفة وذوي السليقة الأدبية، ويغيرون بعض كلماته أو بعض أبياته تبعاً لأذواقهم. فقلما تتطابق نسخة مع أخرى تطابقاً كاملاً، وتوجد في كثير من النسخ حكايات وعبارات لا وجود لها في النسخ التي هي أقدم منها. ولعل تلك السمة موجودة بكثرة في الإبداع العربي، فالحكايات التي تختلف من نسخة إلى أخرى تنجم عن العقلية الشرقية في الإبداع، التي تميل إلى ترك مساحات للإضافة والحذف، من دون أن يؤثر ذلك في المتن الحكائي الأصلي. فالعمود الذي تتكئ عليه الحكايات ثابت، لكن التفاصيل قابلة للتغير، ويظهر ذلك على سبيل المثال في "ألف ليلة وليلة" باختلاف طباعتها وفي السير الشعبية، وفي كتب مثل "العقد الفريد" لابن عبد ربه. ولعل كثيراً من الإبداع العربي توجد فيه هذه الظاهرة.

الإمام الغزالي

أما المصادر التي استمد منها العطار مادة "منطق الطير"، فأولها القرآن الكريم، فمنه أخذ اسم منظومته، والهيكل العام لها من حديث الطيور، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل، آية 16]. كما أن تشبيه الأرواح بالطيور هو أمر موجود في الفكر الصوفي، ويرد كذلك في الأحاديث النبوية الشريفة أن أروح الشهداء طيور خضر. وكان الأمر موجوداً في الحضارات القديمة، عند المصريين القدماء وفي الحضارات العراقية القديمة وفي الديانات القديمة مثل الزردشتية.